

أباطيل وأسمار

بقلم

أبي عبدالله السعدي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وعلى نبينا محمد أفضل الصلوات وأتم التسليمات ، أما بعد :

فقد كانت هذه المقالات المنشورة في مجلة صوت الجهاد في أعدادها الأولى وقفات ومناقشات لبعض الشبهات التي تثار حول فريضة الجهاد العظيمة ، تلك الفريضة التي حوربت من أعداء الله حرباً ضروساً لا سيما في هذا الزمان ، وجعلت في طريقها وطريق أهلها العقبات الكثيرة ، الحسية والمعنوية ، الدينية والدنيوية ، واستقيت تلك المناقشات من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم حيث كثر فيهما الردود القوية على الشبهات في باب الجهاد ومعالجتها في حينها معالجة واقعية تؤتي ثمرها الطيبة بحمد الله ، وإتماماً لفائدة القارئ أخرجت هذه المقالات مجموعة في كتاب واحد باسم الزاوية التي ضمت تلك المقالات ، نسأل الله أن ينفع القارئ والكاتب إنه سميع مجيب .

موقع صوت الجهاد
في جزيرة العرب

الـتفـجيـر لـيس طريـقـاً لـلإصلاح !!

"التفجير ليس طريق الإصلاح" كلمة براقة ؛ لكنها غير عادلة ، فالتفجير أسلوب ، وحكمه حكم غايته وثمرته ونتائجه التي تختلف اختلافا يصل إلى حد التضاد .

فليس من العدل ولا من البيان ولا من الحق أن يعمم هذا الوصف على هذا الفعل المجرد ، ولا أن تُتناول مسائل الدين بمثل هذا الإجمال الذي يزيد الغموض ويمهد للخلاف ويستنفد الأوقات والجهود في حوارات ومناقشات تدور في حلقات مفرغة .

التفجير أعظم ما فيه القتل ، والقتل منه ما هو بحق ومنه ما هو بغير حق ، فقتل النفس المسلمة ذنبٌ عظيمٌ لا يحل إلا بسببٍ شرعيٍ كرجم زانٍ أو قصاصٍ من قاتل أو تعزيرٍ لمفسدٍ أو لتترس العدو به ونحو ذلك .

وأما النفس الكافرة فهي مهدرة الدم لا تعصم إلا بسبب شرعي كأمانٍ أو عهدٍ أو ذمةٍ ونحو ذلك.

فالتفجير الذي هو بحق لا شك أنه من أعظم طرق الإصلاح ، والتفجير الذي هو بغير حق لاشك أنه من أعظم طرق الإفساد.

أما اختراع كلماتٍ مجملة ، وعباراتٍ منمقة ، فلا يزيد الأمر إلا غموضاً ، وكان الأولى بدعاة الحوار مع (الإرهابيين) أن يكونوا أكثر وضوحاً في النقاش وأن يعتمدوا لغة العلم ويتخذوا من الكتاب والسنة وفهم الصحابة مرجعيةً حاكمةً بدلاً من استخفاف عقول الشباب بآراء الرجال التي تصاغ صياغة الشعارات الانتخابية لتسري في الناس سريان النار في الهشيم وتتكرر مرةً بعد أخرى لتصبح على مرّ الأيام نصاً مقدساً ومُسَلَّمةً لا يجرؤ أحد على تجاوزها لاسيما مع الضعف العلمي في الوسط الصحوي .

لو أن متحدثاً سَبَّ الدعوة وحذر منها ورفع عقيرته محذراً ومنذراً : "الدعوة جسر جهنم" !! ، هل يشفع له وصفه صلى الله عليه وسلم لبعض المفسدين بأنهم " دعاة على أبواب جهنم "[1] ؟؟ أو يبرر له فعلَه قولُه تعالى عن الشيطان الرجيم : { إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ }[2] ؟؟

كلا بل هناك دعوةٌ ودعاةٌ إلى طريق الجنة ودعوةٌ ودعاةٌ إلى طريق النار ، فكذلك التفجير الذي يستخدمه أهل الحق وأهل الباطل ، فأما أهل الحق فيضربون به أروع الأمثلة في التضحية والفداء لهذا الدين ، ويسطرون به ملاحم العزة والبطولة ، ويثبتون به حقيقة يقينهم بموعود الله وثقتهم بما هم عليه من الطريق.

إن التفجير من الجهاد ؛ والجهاد باب من أبواب الجنة ...

التفجير غيظ الكافرين ، وردع المعتدين ، وشفاء صدور المؤمنين ...

ما الذي زلزل جيوش الصليب إلا التفجير؟! وما الذي حول حياة اليهود إلى جحيم إلا التفجير ؟! وهل كانت العمليات الاستشهادية إلا تفجيراً ؟!

وهل كان كماة هذا العصر وأبطاله كخطاب وشامل ويحيى عياش وخالد الجهني ومحمد الشهري رحمهم الله إلا أساتذة هذا الفن وأربابه ؟!

إن من يقول هذه الكلمة "التفجير ليس طريق الإصلاح" يريد بذلك أن الدعوة والتربية هي سبيل الإصلاح بناءً على مستندٍ فكريٍ هزيلٍ استشرى بين المسلمين .

ونحن نتفق أن الدعوة إلى الله وتربية الناس على الدين من أعظم سبل الإصلاح لاسيما إذا كانت الدعوة والتربية تهتم بأصل التوحيد وإخلاص العبادة لله ونبذ الشرك والكفر بالطاغوت والبراءة من أهله ، لكنها

[1] - حديث حذيفة في صحيح مسلم .
[2] - (فاطر : من الآية6)

لا تتعارض مع الجهاد ولا مع التفجير بشكل خاص فإن جهاد المسلمين وتفجيرهم اليوم بحكم الواقع هدفه رد العدوان عن المسلمين وصد الفتنة عنهم في دينهم وأنفسهم وأعراضهم وأموالهم وأوطانهم .
فهل يتوقع أن يرد مثل هذا العدوان من قبل اليهود والنصارى والمرتدين وسائر الكفرة الملحدين إلا بالتفجير وما شاكل التفجير من أبواب الجهاد وفنونه ؟؟!!
هل يراد منا أن نقاوم العدوان بالحملات السلمية أم بالحوارات الوطنية أم بالبيانات التعايشية ؟؟
عجباً للعقول كيف تفكر ؟
عجباً للنفوس كيف تصبر ؟
هل حقاً يعي هؤلاء ما يقولون ؟ أم يدركون شناعة ما به ينطقون ؟
ما بلينا والله بمثل هذا المنطق المعوج إلا بشؤم معاصينا وركوننا إلى الدنيا وكراهيتنا للقتال فأصابتنا الغثائية " أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاءٌ كغثاء السيل ".
وأصابنا الذل حتى ما نستحيي من الله ولا من أنفسنا ولا ممن حولنا أو على الأقل من التأريخ الذي سيسطر حالنا بمداد الدهشة والعجب كدهشتنا ونحن نقر أ حال بني إسرائيل وهم يوعدون بالنصر أسهل ما يكون فيأبون إلا ما ألفوه ولو كان الذل والهوان ، ويأبون التغيير ولو كان هو العز والتمكين.
أو تلك الدهشة التي تمر بنا ونحن نقرأ حال المسلمين زمن التتر والحملات الصليبية حيث كانت تمر عليهم السنوات دون أن ينبض منهم عرق أو يتحرك لهم جفن حتى أن كتب التأريخ روت أن أهل الشام لما داهمهم الصليبيون أرسل السلطان الفقهاء والخطباء ليحثوا الناس على النفير ونجدة إخوانهم المسلمين وكانت النتيجة كما نص المؤرخون : فلم يفد ذلك شيئاً !!
ولكن لم العجب والدهشة ؟ فزماننا أحق بالعجب ؛ فلئن كان الناس جبنوا عن إجابة داعي الجهاد والمحرض على النفير فما عساهم إذا كان شيوخهم يغرسون فيهم غراس الذل والمهانة ، ويسقونها بماء التحقير والتحطيم ، ويحجبونها بأحجبة الحكمة والسكينة ، هِجِّيراهم يوم الوغى وساعة السلاح: التفجير ليس طريقاً للإصلاح ..
اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، ولا تجعله ملتبساً علينا فنضل..

كلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة

الأمة اليوم محتاجة أشد الحاجة إلى تحقيق التوحيد والعمل بمقتضى كلمته قبل حاجتها إلى جمع الصف وتوحيد الكلمة ؛ فالاجتماع والاتحاد ليس غاية في حد ذاته ، إنما مراد الشرع هو تحصيل الاجتماع على كلمة الحق.

والذين يدندنون اليوم على وتر وحدة الصف وتماسك الجبهة الداخلية واجتماع الكلمة إنما يخادعون الأمة ويظهرون لها الواقع في غير حقيقته ، ويتخذون من نصوص الشرع التي تأمر بالاجتماع وترك التنازع والترغيب في الجماعة وسيلة لما يرومونه من جمع الحق والباطل والتسوية بينهما.

لو كان هؤلاء يريدون جمع أهل السنة على التوحيد والسنة ، لكان ذلك من أعظم البر والنصيحة للأمة لكنهم ينادون بمد الجسور مع كل من لا يرجى من الاجتماع معه أي خير أو بركة أو نفع للأمة ، من الطواغيت المرتدين الخونة ، أو الرافضة الخبثاء ، أو العقلانيين المفسدين.
ثم هم في الوقت نفسه يقطعون جميع الصلات مع أهل السنة والمجاهدين ويتبرؤون منهم ومن طريقتهم في لغة صريحة بينة ، وجهر لا يشوبه إسرار ، ونشاط لا يكاد يتوقف.
فليت شعري أي الفريقين أحق بالخير والرفق والاجتماع ؟
وأيهما أولى بسياسة مد الجسور والالتقاء على نقاط الاتفاق المشتركة ؟
إن أمر هؤلاء منتكس على رأسه ولا غرابة فمن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.
إن هؤلاء ليسوا بطلاب حق على الحقيقة بل هم مع من غلب وولاؤهم لمن تكون له الدائرة.
فضحهم الله وله في ذلك الحكمة والمنة فبعد أن صموا آذاننا حديثا عن ضرورة الحوار وفوائد الحوار وأدب الحوار !!

جاءت غزوة الرياض لتكشف من قلوبهم ما خفي ومن ضغائنهم ما قبح فنسوا في غمرة حماس الشجب والاستنكار ما كانوا يدعون إليه من قبل ، وسلقوا المجاهدين بألسنة حداد ، وصار أمثلهم طريقة من يقول : هم ليسوا خوارج ولكن حاوروهم كما حاور الصحابة الخوارج !!
أو: إن لهذا العمل أسبابه من عدوان الأمريكان ، ولكن لا يجوز البحث لهؤلاء المجاهدين عن أي مبرر ولا تسويغ !!
أو: لاشك أن الحكام قد وقعوا في نواقض للإسلام ولكن ليس من السهولة تكفيرهم !! إلى غير ذلك من العبارات السمجة الباهتة التي كشفت هي ومثيلاتها مدى تلون هؤلاء وتقلبهم مع تقلبات السياسة الطاغوتية والمصالح الحزبية والأهواء النفسية.
إن هذه المواقف المخزية ما كان لها أن تكون لو كان للتوحيد قدر في النفوس أو حضور في المنهج أو اهتمام في التأصيل والتطبيق.

الأمة اليوم مقصرة في أمر عقيدة التوحيد ، والخلل بيّن بين أفرادها في جوانب كثيرة من أمر العقيدة ومن أبرزها:

- إفراد الله بالعبادة وعدم صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله سبحانه.
- تحكيم الشريعة وفرضها في واقع الحياة والحكم بما أنزل الله بين الناس.
- موالاة المؤمنين والبراءة من الكافرين والكفر بالطواغيت.

فهذه الجوانب تحتاج من المصلحين أن يركزوا الاهتمام بها وأن يجعلوها في رأس الأوليات التي يدعى إليها ويجمع الناس عليها وتبذل الجهود من أجل العمل بها. فإذا اجتمعنا على هذه الأصول نظرياً وعملياً فالخلاف في الجزئيات التي دونها هين ، والاجتماع عليها هو المكسب... والحمد لله رب العالمين

"كفُّوا أيديكم"

أذن الله للمسلمين بالقتال في المدينة ، ولم يكن الجهاد مشروعا قبل ذلك في مكة ، لحكمة أرادها الله سبحانه ، وأعني بذلك الجهاد جهاد الطلب الذي يلزم الناس والبلاد بحكم الإسلام ، أما جهاد الدفع فكان مشروعا بحسب الحاجة إليه فيدافع المسلمون عن أنفسهم وأعراضهم وأموالهم ، وأما الدفاع عن أرض الإسلام فلم يكن واردا حينذاك إذ لا توجد أرض للمسلمين يدافعون عنها.

وكان هذا الدفاع عن النفس مشروعا غير فرض على المسلمين بل هم فيه مخيرون وإن كانت الأفضلية للصبر ، قال تعالى:

{ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ * وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ }[1].

وفي المدينة تدرج تشريع الجهاد في مراحل انتهت بفرض الجهاد على المسلمين ضد الكفار جميعاً : من اعتدى علينا منهم ومن لم يكن كذلك.

أما غير المعتدي فيجاهد جهاد طلب باعتبار ذلك فرض كفاية ، وأما المعتدي فيجاهد جهاد دفع باعتباره فرض عين على المسلمين.

وبهذه الصورة استقر حكم الإسلام في الجهاد وكمل الدين واستمر المسلمون أربعة عشر قرنا على هذا النهج لم يقل أحد منهم بخلاف هذا الحكم المستقر ، ولم يخطر ببال واحد منهم أن يدعي أن الأمة عامة تعيش عصر استضعاف يوجب عليها الرجوع إلى التدرج في مراحل تشريع الجهاد من إباحته ثم فرضه في حق المعتدي ثم فرضه مطلقا ضد الكفار ، ورغم ما مر بأسلافنا من فترات ضعف شديد وهزيمة مادية على أرض الواقع إلا أن شيئا من ذلك التصور لأحكام الجهاد لم يوجد.

سقطت دار الخلافة في أيدي التتار المشركين ، وسقط المسجد الأقصى في يد الصليبيين ، وسقط الحرم المكي في أيدي القرامطة المرتدين ومع ذلك لم يتجرأ منهم أحد ليدعي أننا في عصر استضعاف يوجب علينا أن ننشغل بالعبادة أو الدعوة أو التربية أو غير ذلك من المخارج التي يتحايل بها أهل هذا الزمان للخروج من (مأزق) فرضية الجهاد على الأمة!. لم يكن ذلك التفكير متصوراً إلا في عرف أهل التصوف ومن على شاكلتهم ممن يعطلون الأخذ بالأسباب المادية المأمور بها شرعاً ومع ذلك فلا أذكر أن أحداً منهم علل لقعوده بمثل هذه الفلسفة لتشريع الجهاد وحكمه.

والسبب في ذلك والله أعلم أن الأمة لم تتمكن منها الهزيمة النفسية والإحباط القاتل بل ظلت معتزة بدينها فإذا ما غفلت مدة من الزمن وتسلط عليها الأعداء صحت من غفلتها وعرفت داءها ورجعت إلى دينها وفكرت بالجهاد في أوائل الحلول للخروج من مأزقها فلا تلبث أن تتعافى من مصابها.

مر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وأنصار دعوته وتلاميذه بمثل هذه الظروف الصعبة التي نعيش اليوم ومع ذلك لم تنشأ عندهم فكرة الرجوع إلى أحكام العهد المكي والسبب أنهم لم يجدوا لذلك مستنداً من الشرع أما أهل هذا العصر ممن استهواهم الفكر والرأي وحكموه على الواقع وعارضوا به الشرع فإن فكرة المكية في أحكام الجهاد فقط من المحكمات عندهم رغم تناقضهم وتخبطهم فيها. وحين أقول (في أحكام الجهاد فقط) فإنني أعني ما أقول إذ لولا هذا القيد لشابهوا جماعة التكفير والهجرة التي تعمم حكم المكية في غير الجهاد من الشرائع فنكاح المشركات حلال! وذبائحهم لا تحرم ! كما هو الحال في العهد المكي !إلى غير ذلك مما يعلم بطلانه أدنى من له معرفة بأحكام الشرع.

---

[1] - (الشورى: 39 – 43)

فأصحاب هذه الفكرة بين أمرين أحلاهما مر: إما تعميم حكم المكية في بقية الشرائع غير الجهاد وهذا ما لا يقولون به ولا يجرؤون عليه لظهور بطلانه ، أو استثناء الجهاد من بقية الشرائع فيقعون في التناقض من جهة التفريق بين المتماثلات ، وخذ مثالاً على ذلك حكم الخمر فقد كان تشريعه متدرجاً حيث وصف بأن فيه إثماً كبيراً من غير تحريم ثم حرم شربه وقت الصلاة ثم حرم مطلقا ، وقد كان هذا التدرج لحكم أرادها الله سبحانه ومع ذلك فإن أحداً لا يقول بإمكانية تطبيق هذا التدرج في هذا العصر والسبب في ذلك أن حكم الخمر محكم ومقرر بالنص ولا يقبل الاجتهاد وكذلك حكم الجهاد ومراحل تشريعه التي استقرت لا تقبل الاجتهاد المعارض للنص كما هو اجتهاد دعاة التربية والتصفية.

بقي أن نقول إن ثمة جانباً مؤثراً في باب الجهاد قد يشتبه بأمر التدرج في مراحل تشريع الجهاد وهو جانب القوة والضعف فلهما تأثير في أحكام الجهاد من جهة الثبوت والسقوط ، فمن الجهاد ما يسقط بالعجز ومنه ما يدخل فيه تقدير المصالح والمفاسد مما يحتاج إلى تفصيل في غير هذا الموضع لكن المهم تقريره الآن هو أن هذا الجانب يختلف جذريا عما نحن بصدده وآثاره تختلف عن هذا الجانب والخلط بينهما يورث أخطاء تطبيقية كثيرة لا يسلم منها إلا من عصمه الله وهداه للحق.

"الفتنة أشد من القتل"

يعترفون بأن الكفر يحكم الأرض ، وبأن قوانينه هي المحكَّمة من قبل الحكومات من دون شرع الله ثم يقولون بشرعية تلك الحكومات ، ويعلمون أن المجاهدين لا يستهدفون المسلمين ثم يدندنون حول أحاديث الفتنة ويلبسون بها على المسلمين.

أحاديث النهي عن القتال في الفتنة حقٌ ولكن كثيراً ما كان الحق وسيلةً لترويج الباطل عن طريق لبسه بالحق ، قال تعالى :

{ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } [1] وما كان الباطل ليروج عند المؤمنين الذين يريدون الخير إلا حين يطعّم ببعض الحق الذي تعرفه النفوس الطيبة ، وهذا هو مكمن الخطورة ، الذي يصير به العالم مفسدا خائناً لله وللمؤمنين ، وللأمانة التي حملها العلماء.

فقد كثرت الأحاديث الصحيحة في التحذير من القتال في الفتنة مثل قوله صلى الله عليه وسلم: " لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض "[2] وقوله صلى الله عليه وسلم : " إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار "[3] ولكن هذه الأحاديث محلها في القتال بين المسلمين لدنيا أو عصبية أو بغي.

وتنزيلها على الواقع اليوم من القتال بين المجاهدين وبين جنود الصليبيون وجنود الحكومات المدافعين عن الصليبيين وعساكرها تنزيل غير صحيح إطلاقاً ، فإن الحرب اليوم بيّنة الراية واضحة السبيل ، حزب المسلمين المجاهدين في سبيل الله ضد حزب الدول النصرانية واليهودية والمرتدين ، الحرب بين جند الله وجند الشيطان ، الحرب بين أهل الحق وأهل الباطل.

فمن وقف في صف المجاهدين فقد سلك سبيل الهدى وأفلح وسعى في نجاة نفسه من عذاب الله ، وقدّم لنفسه ، وحصل الرفعة والدرجات العلى في الدنيا والآخرة ، ومن وقف في صف الصليبيين والمرتدين في هذه الحرب فقد خسر نفسه وارتد عن دينه وكفر بربه وجحد نعمة الله عليه ، ومن وقف متفرّجاً معتزلاً خاذلاً لإخوانه المسلمين فقد فوّت على نفسه حظاً عظيما ، ولم يسلم من إثم القعود والخذلان ، فهذه المعركة الكبرى التي تدور رحاها اليوم ليس دخولها مع المجاهدين من الفتنة في شيء ، كيف يكون ذلك من الفتنة وهذا القتال لم يشرع أصلاً إلا لمنعها ، قال تعالى: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [4] الفتنة الحقيقية هي الكفر والشرك ، وتحكيم القوانين الوضعية ، وموالاة الكفار.

فقتال المجاهدين اليوم هو لرفع هذه الفتنة ، والفتنة كما أخبر الله سبحانه أشدّ من القتل قال ابن عمر رضي الله عنهما: الفتنة الشرك ، وقال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله: فلوا اقتتلت البادية والحاضرة حتى يتفانوا كان خيراً لهم من أن ينصبوا طاغوتاً يتحاكمون إليه ، فالفتنة الواقعة بنا هي بنص القرآن أكبر وأشد من الفتنة المتوهمة بمفهوم الذين لا يعقلون ، ولكن هم ينظرون بعين الخائف على دنياه وأمنه وملذاته وشهواته فيكرهون الجهاد لأجل هذا ، فوق ما في نفوسهم من طبيعة كره القتال ، ولو حاولوا أن يلبسوا ذلك بلباس الخوف على مصلحة الدعوة والحرص عليها ، فقول الله أصدق وهو بما في النفوس أعلم وهو المستعان سبحانه على ما يصفون.

1- (آل عمران: من الآية71) .
2 - رواه البخاري ومسلم .
3- رواه البخاري ومسلم .
4 - (الأنفال:39) .

"الرجوع إلى الحق فضيلة"

جاء عبد الله بن سلام رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم مسلما وقال له إن اليهود قوم بهت وإنهم إن يعلموا بإسلامي يقولوا فيّ غير ما يعلمون فاختفى غير بعيدٍ بحيث يسمع كلامهم ولا يرونه فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم عنه فقالوا: خيرنا وابن خيرنا ، فلمّا عرفوا بإسلامه قالوا: هو شرنا وابن شرنا[1].

هذا الرجوع من سفهاء اليهود لم يكن رجوعاً إلى الحق وليس من الفضيلة ولا يمت إليها بصلة قريبةٍ ولا بعيدةٍ بل هو كما وصفه الصحابي الجليل بهتانٌ وزورٌ وكذبٌ ، لأنه تغيرٌ لم يبن على تغيّرٍ أساسه ومستنده بل مرجعه للهوى ولا شيء غير الهوى ، فعبد الله بن سلام رضي الله عنه كان يتمتع بصفات لم تتغير بإسلامه إنما الذي تغير هو أنه كان يهوديا فأسلم فكيف انقلبت تلك الفضائل مساوئ ؟ والمحاسن معايب ؟ في طرفة عين وانتباهتها ؟!

تذكرت هذا المشهد وأنا أرى المنافقين وهم يكيلون مكاييل المدح والثناء ، وشهادات التزكية على الجماعات والقيادات والأفراد الذين انتكسوا عن طريق الهدى والصواب فهم عقلاء وأخلاقهم طيبة ، وأهل علم وفضل ، وعندهم شجاعة أدبية بينما هم بالأمس سفهاء ، متهورون ، جبناء ، أهل فتاوى الكهوف والمغارات ، متشنجون ، وليسوا من أهل العلم ولا يحق لهم الإفتاء ولا التدريس ، عجباً والله كيف حصل كل ذلك بهذه السرعة ؟

هم تراجعوا عن فتاوى معينة أو أطروحات محددة ، بينما أوصافهم وعلمهم وأحوالهم ثابتة لم تتغير ، وطبيعتها تتراوح بين الثبات أو بطء التغيّر فلا يتناقض أحدٌ في الموقف منها إلا كان ذلك دليلاً على اتباعه للهوى ، وقلة ورعه ، وسوء طويته ، وانتهاجه منهج البهتان على سنن سفهاء يهود.

كذلك تذكرت الموقف الصحيح الذي يجب اتباعه حيال تغير الأشخاص ، وتبدل المواقف ، وتحول المسارات وهو أن يكون الحق هو المحور الذي يرتبط به المسلم والمجاهد فيدور معه حيث دار ، تحقيقاً لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : " لا يكن أحدكم إمعة يقول إن أحسن الناس أحسنت وإن أساؤوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساؤوا أن تجتنبوا إساءتهم "[2] ولقول ابن مسعود رضي الله عنه : " الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك " وقوله رضي الله عنه : "من كان مستناً فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة " وهذا دليل صدقٍ وعلامة رشاد ، وهو النهج القويم الذي لا ينبغي لمريد الحق أن يحيد عنه.

فالحق قديم ، وهو أحق أن يتبع ، والله أحق أن نخشاه ، فالرجوع لا يكون فضيلة إلا إذا كان إلى الحق ومقصوداً به الحق ، أما التعلق بالأشخاص والدوران في فلكهم والتأثر بتقلباتهم فهو سبيل الخاسرين ، والضعفاء والمنهزمين ، الذين ما عرفوا حقيقة العبودية وأنها لله وحده لا شريك له سبحانه فليست لنبي ولا لرسول فضلاً عن الأحبار والرهبان والعلماء.

شتان بين قومٍ تربوا على التقليد والتبعية العمياء ، وعلى تقديس المشايخ والدعاة والرموز فهم يتقلبون معهم كيفما انقلبوا ويتيهون حيث تاهوا فمرة ذات اليمين ومرة ذات الشمال من غير أن تسأل هذه الجموع البلهاء قادتها وساستها ومنظريها عن المصير والوجهة وسبب التراجع وطبيعة التغير.

تتبعهم تلك الجموع الضائعة في تقلبهم وتلونهم ويخرجون من السجن وتمر السنون الطوال ينكصون فيها على أعقابهم دون أن يصدق البلهاء أن أشياخهم قد تغيّروا فضلاً عن أن يحاسبوهم أو يناقشوهم فتلك الخطيئة الكبرى والذنب المقيت الذي مس جناب الشيخ المعظم وقداسة الرمز المفخّم.

---

[1] - صحيح البخاري .

2 - رواه الترمذي

جموعٌ تدافع عن الرموز أكثر من دفاعها عن المنهج ، وتغضب لانتهاك حرمة الرد عليهم – ولا حرمة تعصمها من الرد – أكثر مما تغضب لانتهاك حرمات الله.
جموعٌ يسيرها الهوس العاطفي والعلاقات الشخصية والظروف النفسية التي تحكم علاقاتها بدلا عن ضابط الحب في الله والبغض في الله.
شتان بين هؤلاء القوم وقوم آخرين نور الله بصائرهم ربطوا مصيرهم بالحق وعاشوا لأجل الحق ، ولم يعظم في نفوسهم معظم إلا بقدر الحق.
متى نكص ناكص على عقبه غيروا موقفهم منه كما تغير موقفه من الحق ، من غير جحودٍ لشيءٍ من صفاتِهِ التي لم تتغير أو لا تتغير ، فلا يُنكر أنّ فلان بليغ منطيقٌ ، وفلانٌ حاضر البديهة وافر العقل ، وهذه مما يجتمع مع الضلال حينًا ويُفارقه حينًا ، فهذا مقتضى العقل والعدل والحكمة والشرع.
والرجوع إلى الحقّ يكون بالدليل كما أنّ الأخذ بالحق ابتداءً لا يكون إلا بالدليل ، وأمارة من رجع إلى الحق أنه يرجع من الإجمال إلى التفصيل ، ومن الجهل إلى مزيد العلم ، ومن الرأي إلى الدليل ، أما ما كان بضدّ ذلك ، فلا يكون رجوعًا إلى الحق لأن الحق أولى بالدليل والعلم والتفصيل من كل باطل.
كما أنّ الحق أقرب أن يصدر ممن ليس عليه ضغوط ولا تثقل قدميه القيود ، وليس الحق ما لا يظهر إلا في الأصفاد والأغلال ، وتحت ولاية أهل الضلال ، والله أعلم.

لا نـريـدهـا جـزائـر أخرى!!

حريٌّ بالعاقل أن يستفيد من التجارب ، فيا أيها المجاهدون في كل مكان: استفيدوا من تجربة الجزائر..
لقد علمتكم الجزائر أن فكرة الديمقراطية ليست إلا خديعة كبرى أراد بها الكفار إشغال الشباب المتحمس ، والطاقات الإسلامية المتوقدة ، وتصريفها لتصب في النهاية في خدمة الطاغوت وحكم الطاغوت...
قال الشيخ المجاهد أسامة بن لادن نصره الله[1]:
(والأمة موعودة بالنصر أيضاً على اليهود كما أخبرنا رسولنا صلى الله عليه وسلم حيث قال: " لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعالَ فاقتله ، إلا الغرقد فإنَّه من شجر اليهود "[2].
ففي هذا الحديث تنبيه أيضاً إلى أن حسم الصراع مع الأعداء إنما يكون بالقتل والقتال لا بتعطيل طاقات الأمة لعشرات السنين عبر طرق أخرى كخدعة الديمقراطية وغيرها) ا.هـ
دخل الإسلاميون في الجزائر في مستنقع الانتخابات متأثرين بسحر الديمقراطية فلم يجنوا شيئاً وشرح لهم الطاغوت شرحاً عملياً كيف يكون الواقع على حقيقته وأن قوام الدين بكتاب يهدي وسيف ينصر كما قال تعالى : { وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً } [3].
لقد علمتكم الجزائر أن الحل السلمي – لو سلم من المخالفات الشرعية - حلٌّ ناقص ، وأنه مهما ظهر تأثيره وعمّ نفعه لا يستقل بتحقيق الغاية التي أمرنا بتحقيقها وهي أن يكون الدين كله لله ، وأن يقضي المجاهدون على الفتنة...

دعـا المصـطفى دهـراً بمكـة لـم يجـب	وقـد لان منـه جانـب وخطـاب
فلمـا دعـا والسـيف صـلت بكفـه	لـه أسـلموا واستسـلموا وأنـابوا

لقد أُمر النبي صلى الله عليه وسلم بكف اليد وتأخير مرحلة السيف إلى حين فأدى النبي صلى الله عليه وسلم ما أوكل إليه ، أما نحن فأمرنا بالإعداد والجهاد ووعدنا باستمرار مرحلة السيف وبقاء أهل السيف وأهل الخيل التي عُقد في نواصيها الخير إلى يوم القيامة ألا وهو الأجر والمغنم.
دخل بعض الإسلاميين في الجزائر مستنقع الانتخابات فلانوا لعدوهم وقد أمروا بإظهار عداوته ، وشاركوه مجالسه الشركية وقد أمروا باجتنابها ، وحادوا عن سنن { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ } وجبنوا عن مقولة { لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ } وانصرفوا عن هداية { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ } فهل شفع لهم هذا الطريق البدعي ليحققوا مكاسبهم أو يبلغوا غايتهم ؟! إلا من رحم الله منهم..
اللهم إنا نسألك العزيمة على الرشد...
لقد علمتكم الجزائر كيف أن استعجال النتائج يكسب الخسائر ، وأن المبادرة إلى قطف الثمرة يوجب الحسرة ، وأن الانتقال من مرحلةٍ معينةٍ في حرب العصابات قبل انتهائها خطأٌ قاتلٌ ، قد يرجع بمسيرة الجهاد خطوات كثيرة إلى الوراء ربما تتجاوز خطوات الانطلاق الأولى.
علمتكم الجزائر أن سلعة الله غالية ، فهل ظننتم أيها الإسلاميون أن تنالوها باليسير من الدروب ، والسريع من الأيام ، لا والله.
إن بينكم وبينها باباً مغلقا لا يكسره إلا سيل الدماء الجارف ، وريح عواصف المعارك ، وزلزلة القلوب في اقتحام مواطن المهالك..

[1] ـ أسامة بن لادن مجدد الزمان وقاهر الأمريكان ، للشيخ أبي جندل الأزدي.
[2] – صحيح مسلم .
[3] ـ (الفرقان : من الآية31)

هل ظننتم أن تقوم دولة الإسلام على أصوات أهازيجكم في حفلات المسارح ، أو جمال صوركم على أغلفة المجلات والشرائط والقنوات والبرامج..
أم حسبتم أن يكفّ بأس الذين كفروا بغير القتال ، أو أن تصدّ القنابل والصواريخ بالخطب والصياح ، أو الحملات الصليبية العسكرية بالحملات السلمية الدعوية..

نسي الناس طريق النصر حسبوه يأتي في يُسْرِ
أو من غير دماءٍ تجري أين جهاد رسول الله ؟

لقد علمتكم الجزائر عدم الاغترار بالكثرة ، وأنه لا يعوّل عليها في حسابات النصر والهزيمة ، فالقضية قضية قناعة بالمبادىء ، وثباتٍ عليها فالكيف لا الكم هو الذي يحدد مدى انتشار الدعوة ورسوخها وثباتها.
لقد علمتكم الجزائر حقيقة الطواغيت واستماتتهم في نشر الكفر والفتنة حتى لو أراقوا في سبيل ذلك دماء الأطفال والنساء ، علمتكم الجزائر ضريبة السكوت عن الطواغيت والبقاء تحت حكمهم وكيف أن مسالمتهم تعني التمكين لهم ، وأن كل دقيقة يعيش فيها الطاغوت من غير مدافعة تعني خسران أخ مسلم ، وغياب حقيقة ، واندثار فريضة ، وانتشار بدعة أو خطيئة...
علمتكم الجزائر أن طريق الدعوة لا يجوز أن يبدأ بغير التوحيد ، ولا ينفع فيه المداهنة والمجاملة ، وأن الكفر بالطاغوت ركن أساس ومبدأ متين متى غفلت عنه الدعوات دخلت في مدلهمات الفتن ، وانكبت عليها الانحرافات من كل جهة ، وصار جهدها ترقيعاً وترميماً على أصل فاسد سرعان ما ينهار بأهله فيكون عليهم عذاباً وبيلا..
لقد علمتكم الجزائر كثيراً من الدروس ، فلتكن تلك الدروس سبيلاً لتصحيح الخطأ ، و تصويب المسيرة ، بدل أن تكون سبيلاً لتعطيل الجهاد ، وردّ الحق كله.

والحمد لله رب العالمين

الجهاد سبيل التمكين

هل يسعى المجاهدون لإقامة دولة إسلامية ؟
نعم ، ومن غير شكٍ ، فهم يسعون لإقامة دولة الإسلام ليحكموا شريعة الله بين عباده ، قال الله تعالى: { أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ } [1].
كثيراً ما يعترض على جهاد المجاهدين بشبهةٍ غريبةٍ مفادها أن لا جهاد حتى تقوم الدولة ، وحتى يتميّز المسلمون في بلدٍ أو ناحيةٍ غير ناحية العدو ، ويكفي في ردّ هذه الشبهة المطالبة بالدليل الشرعي عليها ، ولا دليلَ يستدل به أصحاب هذه الشبهة لكنهم قد يحتجون غير فعل النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته التي سار عليها في تأسيس الدولة ، ونبينا صلى الله عليه وسلم نعم القدوة والأسوة ، وقد أمرنا الله باتباعه فقال :{ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا }[2] ولكن الذين يقصر فهمهم في طريقة ذلك الاتباع يجدون أنفسهم في مضايق ومآزق لا يخرجهم منها إلا حسن الفهم الذي هدى إليه الشرع ، فإن المتبع على غير بصيرة ربما اتبع النبي صلى الله عليه وسلم في أمر خاصٍ به ، أو ربما اتبعه في أمرٍ منسوخٍ ، أو ظنّ وجوب الاتباع فيما اتباعه سنّة غير واجبٍ ، أو غير ذلك من الأخطاء التي تحيد بصاحبها عن الصواب.
ومن أمثلة ذلك هذه الشبهة التي نعرض لها اليوم حيث يرى بعضهم أنّ دولة الإسلام لا تقوم إلا بنفس الطريقة التي قامت عليها دولة الإسلام الأولى ، ومن ثم يعترض بناءً على ذلك على أي جهاد يقوم قبل قيام تلك الدولة ، أوربما اعترض بتلك الشبهة على بعض صور الجهاد دون بعض ، وقد سبق في عددٍ ماضٍ الحديث عن النسخ الذي طرأ على طريقة إقامة دولة الإسلام مما يتعلق بمراحل تشريع الجهاد ، وما أريد قوله الآن هو: أن في هذا الكلام خلطاً كبيراً إذ إن الجهاد القائم اليوم كلّه جهاد دفع سواءً ما كان منه في فلسطين أو الشيشان أو أفغانستان أوفي جزيرة العرب أو في أمريكا وبريطانيا فكله من جهاد الدفع إذ غايته ردّ العدو الصائل ونصرة المستضعفين والدفع عن أعراض المسلمين وأموالهم وأنفسهم ، وأديانهم قبل ذلك.
فكيف إذن يراد لهذا الجهاد أن يتوقف بشبهة أن الجهاد لا يكون قبل الدولة ؟ أي دينٍ أو عقلٍ يقضي بذلك ؟
ثم لنفرض أن هذا الجهاد هو لإقامة دولة الإسلام فهل يصح أن يعترض عليه بتلك الشبهة أيضاً "لا جهاد قبل الدولة" ؟!
أبداً لا يصح ذلك وإلا لوجب أن تتبع جميع خطوات إقامة الدولة التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم فيقوم العازمون على إقامة الدولة بعرض أنفسهم على القبائل ، والبحث عن موطن هجرة ، ثم الانتقال إليه دون إراقة قطرة دم واحدة قبل قيام الدولة !! فهل قال أحد من المسلمين بمثل ذلك ؟!
وكيف إذن تقوم دولة الإسلام إذا لم يجز الجهاد قبل الدولة ؟ هل ننتظر أن تنزل ملائكة من السماء لتقيمها ونحن قاعدون ؟ أم نتوقع أن يتنازل لنا أعداء الله طواعية ويسلموا لنا زمام الدولة لنحكمها بشرع الله ؟

[1] - (الحج : 39-41)
[2] - (الحشر : 7)

قال الشيخ عبد القادر بن عبد العزيز: (وقد خرج جماعة من المسلمين على الحكام المرتدين في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده ، دون تَمَيُّز في الديار أو مفاصلة ، فلما خرج الأسود العنسي المتنبي الكذاب وغلب على اليمن واستولى عليها احتال عليه فَيْروز الديلمي ـ وكان من أنصاره في الظاهر ـ حتى قتله ، وذلك في حياة النبي صلى الله عليه وسلم[1] ، ولم ينكر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الصحابة ، وما قال أحد كيف يقتل فيروز هذا الأسود قبل أن ينحاز إلى أرض مستقلة ؟ كذلك خرج يزيد بن الوليد وطائفة معه على الخليفة الوليد بن يزيد لما اتُّهِم بالانحلال في الدين حتى قتلوه ، دون تَمَيُّز في الديار [2]، ونقتصر على هذين المثلين اختصارا ...

وقد انعقد الإجماع على أنه إذا نزل العدو الكافر ببلد تَعَيَّن على أهله قتالهم ـ أي صار دفع الكافرين فرض عين على المسلمين بهذه البلدة ـ فهاهم المسلمون وعدوهم في دار واحدة ، وقد فقد المسلمون استقلالية دارهم بالغزو ، ومع ذلك يجب عليهم القتال عَيْناً إجماعا[3]...

إن هذا القول باشتراط تَمَيُّز الدارين لوجوب الجهاد هو قول فاسد ، وهو يفضي إلى تعطيل الجهاد خاصة جهاد الدفع.

قلت: كذلك فإن هذا القول باشتراط تميز الدارين معناه الاستسلام للأمر الواقع والسكوت عن هؤلاء الطواغيت الحاكمين لبلاد المسلمين ، ومعناه إسقاط فريضة الجهاد المتعين على أعيان المسلمين بهذه البلاد ، وهذا القول يفضي إلى استئصال الإسلام بالكلية من هذه البلاد في زمن يسير ، نعوذ بالله من ذلك)) ا.هـ من العمدة بتصرف.

والخلاصة أن هذه الشبهة ساقطة من وجوه:

- أنه لا دليل عليها.
- أنه قد انعقد الإجماع على وجوب الجهاد إذا دخل العدو بلد المسلمين دون ذكر للتميز أو قيام الدولة.
- أن قيام الدولة لا يمكن أن يحصل إلا بالجهاد.
- حصلت وقائع جهادية في تأريخ المسلمين في عهد الصحابة وغيرهم لم يذكر فيها هذا الشرط أو يعتد فيها بهذه الشبهة.
- أن حاصله تعطيل الجهاد إلى غير أجل وكفى بذلك دليلاً على بطلان هذه الشبهة.

والحمد لله رب العالمين

---

[1] ـ البداية والنهاية لابن كثير 6 / 307 - 310
[2] ـ البداية والنهاية لابن كثير 10 / 6 - 11
[3] ـ الاختيارات الفقهية لابن تيمية: 309

"كُنّـا مستضعفين في الأرض"

تقول له: جاهد في سبيل الله ، فيأتيك الجواب السهل المريح : لا أستطيع ! ، أنا ضعيف ! ، هكذا وبدون مقدّمات ، يريح نفسه من عناء الواجب الضخم والحمل الثقيل الذي جعله الله اختباراً لكل طالبٍ للجنّة { أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ }[1].

مثل هذا الجواب الخانع لا يقال بموجب العقل ، بل تسوقه النفس الذليلة ، إخلاداً إلى الأرض ، وحبّاً في الدنيا ، وكراهيةً للموت ، واستسلاماً للمعوّقات الثمانية: (الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة والأموال المقترفة والتجارة المخشيُّ كسادها والمساكن المرضيّة)

مرضنا هو الذلّة ، وليس القلّة..

قال صلى الله عليه وسلم: " إذا تبايعتم بالعينة ورضيتم بالزرع وأخذتم أذناب البقر وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذُلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم " [2]، وقال صلى الله عليه وسلم : " أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل "[3].

الذل مرض أقعد بني إسرائيل عن الجهاد مع أنهم موعودون بالنصر ، ونبي الله بين أظهرهم ، فلم ينفع ذلك في اقتلاع شجرة الذلّ الراسخة في أفئدتهم الهواء فقالوا لموسى عليه السلام: { فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ } [4].

واليوم يتبع بعضنا سَنَنَ من كان قبلنا فيحلّ بهم من الذل ما يمنعهم من الجهاد في سبيل الله معتذرين بالضعف والاستضعاف ، فمهما أريته الآيات البينات في نصر الله لعباده المؤمنين سواء منها الآيات الشرعية المبثوثة في نصوص الشرع ، أو الآيات الكونية المحسوسة على أرض الواقع فلن تجد منه إلا صدوداً { وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ } [5].

ومهما سردت له من نصوص الوعيد في حق المتخلفين عن الجهاد الواجب وما في ذلك من سلوك مسالك النفاق فلن يتحرك في قلبه شعور المحاسبة ، ووازع المراقبة فـ:

من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميتٍ إيلامُ

وبعضهم لا يكتفي بقعوده بل يتخذ من قاعدة (الهجوم خير وسيلة للدفاع) مطية له فيعادي المجاهدين ويخطؤهم حتى يسلم له جاهه ولا تنكسر كبرياؤه إذا وصف بأنه من الخوالف القاعدين !!

لا نشك أن المسلمين اليوم ضعفاء ، وضعفهم متفاوت من بلد إلى آخر ، ولكن هل كانوا ضعفاء إلا بترك الجهاد ؟ هل يمكن أن يزول هذا الضعف إلا باستثمار الطاقات الموجودة وتوجيهها للجهاد ؟ وهل يكف بأس الكفار بغير الجهاد ؟ لا والله

{ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً } [6].

---

[1] - (آل عمران: 142)
[2] – رواه أحمد وأبو داود.
[3] - رواه أحمد وأبو داود.
[4] - (المائدة : 24)
[5] - (محمد : 20)
[1] - (النساء : 84)

إنّ المسلمين لا يقاتلون عدوهم بعدد ولا عدة ، بل وعدهم الله بالنصر إن هم نصروه مهما كانوا ضعفاء { وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }[1].

فكيف وهم اليوم كثيرٌ عددُهم ، مستفيضةٌ أموالُهم ، تملأُ الأرضَ خيراتُ بلادِهم ، والسلاح بين أيديهم ؟!

هل ينقصهم إلا أن يتوبوا إلى الله من ذنوبهم ، وإسرافهم في أمرهم والركون إلى أعدائهم ونفض غبار الذل عن رؤوسهم ؟!

إنّ للضعيف سبيلاً إلى النصر بالإعداد ، والعمل الجادّ ليحصل النصر ، وتبرأ الذمّة ، أمّا القعود والاعتذار بالضعف فهو سبيل الفاسقين ، وعلامة على درب المنافقين.

إنّ الضعيف يسير في الأرض ويمشي في مناكبها يبحث عن أرضٍ يستطيع فيها جهاد أعداء الله ، ويقيم شرع الله.

إن الأخذ بأسباب القوة المادية بعد التوكل على الله كفيلٌ بتحقيق النصر للمؤمنين الذين حققوا التوحيد والكفر بالطاغوت مهما طال الزمن...

إن المجاهدين الذين يتوكلون على الله ويخلصون له ويلتزمون أمره هم القوم المنصورون حقيقة في الدنيا والآخرة..

أولئك الذين يكفرون بطواغيت الأرض كلها من الحكومات العربية والعجمية ، ومن الهيئات الطاغوتية الأممية والعربية والإقليمية .. الذين يتبرؤون من المذاهب الشركية ومسالك الديمقراطية ، ووثنية الوطنية..

أولئك مهما قل عددهم وضعفت قوتهم فلهم النصر بإذن الله إذا سلكوا طريق الجهاد وحققوا العلم بالعمل ولن تقف في وجوههم قوى الأرض كلها ، والحمد لله رب العالمين.

[2] - (الأنفال : 26)

الـتجربـة الـجهـاديـة والـطريـق الـمسدود..!!

حينما يدعي مثقفٌ مزعوم أن الصراع المسلح والتجربة الجهادية وصلت إلى طريق مسدود فهو يخون الأمانة ، ويعظم الفرية على دين الله ، فالجهاد الذي يقوم به الصالحون هو عبادة قبل كل شيء آخر ، وقربة يتقربون بها إلى الله ، وقد علمهم الله كل ما يحتاجونه فيه ، فلم يحوجهم سبحانه إلى عقولهم الضعيفة ومداركهم الضيقة ليتأكدوا ويجربوا: هل طريق الجهاد تجربة ناجحة أم لا ؟!
فمن السفه أن يعترض معترض على أي قتال يقوم به المجاهدون ليقول بأنه تجربة أثبتت فشلها !! له الحق أن ينتقد الخطط العسكرية والآلية التي بها أديرت المعركة ونحو ذلك مما هو في مجال الاجتهاد ، أما أن يعترض على مبدأ القتال من نوع معين ، أو صورة من صور الجهاد بهذه الشبهة الساقطة فهذا هو المحذور؛ لأنه تلبيس على القارئ ، وهروب من النقاش العلمي المفيد الذي كان بوسعه أن يستخدمه لتقرير مدى شرعية تلك التجارب المزعوم فشلها بل ومدى وجوبها ؟
أقول ذلك لأن من يدعي مثل هذه الدعوى يريد في النهاية من المجاهدين أن يتركوا ذلك الجهاد الواجب بحجة أنه تجربة وفشلت !! فهل يقول بهذا عاقل عرف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ؟ وبعبارة أخرى: هل من الممكن أن يكون الجهاد شرعياً بل وواجباً ويهزم فيه المسلمون ؟ الجواب: نعم ، يهزمون ظاهرياً حسياً وأبرز الأمثلة على ذلك غزوة أحد التي قال الله فيها: { أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَـذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ } [1].
وأول غزوة حنين التي قال الله فيها : { وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ }[2].
إذن فهزيمة المسلمين في معركة أو معارك لا يجوز شرعاً أبداً أن يتخذها المبطلون حجة للتثبيط عن الجهاد الجائز فضلا عن الاعتذار به عن الجهاد الواجب؛ تماما مثلما أن المسلمين هزموا في أحد ، وفي أول غزوة حنين ومع ذلك بقي الجهاد واجباً وفضيلةً وشرفاً وكرره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تلك الهزائم مرات متعددة ولم يقل أحدٌ من أهل العقول بوجوب إيقاف الجهاد لأنّه كان تجربة وفشلت ، نعم لو كان المعترض لا يرى ذلك القتال في سبيل الله جهاداً لكان له أن يبين حجته في ذلك السياق ، ويبيّن وجه اعتراضه على كون ذلك الجهاد شرعياً ، لا أن يقول: لا تجاهدوا الجهاد المشروع أو الواجب لأنّه كان تجربة وفشلت ! ولا أن يقول: لا تحرصوا على الدرجات العُلى من الجنّة بالجهاد لأنه كان تجربة وفشلت ! ولا أن يقول: لا تتسابقوا إلى الشهادة بالجهاد لأنه كان تجربة وفشلت !ولكن غالب الظن أن مثل هؤلاء مفلسون من الحجة العلمية والبينة الشرعية التي يعترضون بها على الجهاد الذي يقوم به أولياء الله الصالحون ، فمالهم بعدها إلا التثبيط والإرجاف والتخذيل ، كحال الذين حذرنا الله منهم : { وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ}[3].
فهؤلاء هم أشباه أولئك ، إذا صيح بهم: يا خيل الله اركبي ، قالوا: لو نعلم قتالا لاتبعناكم ، وهؤلاء إذا ذكروا بالله : { وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ } [4] قالوا: لو أريتمونا تجربة ناجحة لفعلنا مثل فعلكم ولخرجنا معكم يهلكون أنفسهم ويعلمون أنهم كاذبون ، أو كحال

---

[1]- (آل عمران : 166)
2 - (التوبة : من الآية 25)
[3]- (آل عمران : 167)
[1]- (النساء: 75)

الذين قال الله عنهم : { الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللهِ قَالُواْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُواْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ } [1].

ألا فليتق الله هؤلاء وليراجعوا أنفسهم هل ما يقولونه له قيمة حقيقية ؟ هل يصح أن نُعَلِّق أمر الله بالجهاد على نجاح التجارب ؟ إذاً فليتركوا الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر !! لأن تجاربه الكثيرة فشلت ولم تؤد النتيجة المطلوبة..

جماعات إسلامية ، سرية وعلنية من عشرات السنين تسعى لإقامة الدولة الإسلامية وإلى الآن لم تتقدم خطوةً واحدةً في هذا المجال في حين أن الجهاد في سبيل الله استطاع أن يقيم دولاً وكيانات مباركة ، حمت المسلمين ، واستطاعت تطبيق الشريعة الإسلامية إلى حين.. دولة الشيخ محمّد بن عبد الوهاب رحمه الله لم توجد إلا بالجهاد ، ودولة الطلبة في أفغانستان لم تقم إلا بالجهاد .. والدولة الإسلامية في الشيشان لم تقم إلا بالجهاد .. صحيح أن هذه التجارب لم تكتمل أو تؤدِ دورها الكامل المطلوب لكن هذه سُنّة كونيةٌ معلومةٌ وهي التدرج فبالأمس لم نكن نحلم بدولة ، واليوم تقوم لنا دول وتسقط ، وغداً بإذن الله تقوم ولا تسقط حتى يأتي أمر الله ، ولم يكن فتح مكة إلا بعد غزوات كبار ، وهجمات صغار ، وسرايا مبثوثة ، ومناوشات محدودة ، كان بعدها النصر العظيم والفتح المبين ، وكذلك في زماننا بإذن الله .. أم يتوقع هؤلاء المثاليون أن تقوم لنا دولة الإسلام هكذا في يومٍ واحدٍ وبدون دماءٍ وتضحيات ، أو بدون تعثراتٍ وتلكؤات وهزائم أحياناً.

خلاصة الحديث أنّ الجهاد عبادة من العبادات ، مثله مثل الصلاة والصوم والحج من جهة ، ومثل الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من جهة أخرى , وعلى كلا الجهتين لا يجوز أن يعترض على إقامته معترض بأنه لم يحقق فوائده وأن تجاربه كانت فاشلة لأمور:

أولها: أن مجرد الامتثال للأمر الواجب أكبر فائدة ، ولا تبرأ الذمة إلا به ، والخسران كل الخسران في تركه..

وثانيها: أنّه مهما تخلفت بعض مقاصد الجهاد وفوائده ، فإنه لا يخلو من مقاصد أخرى وفوائد كبرى ، لا يدركها المتعجلون السطحيون الذين يقيسون الأمور بمقياس مادي ، ومن تلك الفوائد الابتلاء والتمحيص ، واتخاذ الشهداء ، وتكفير الذنوب ، وغير ذلك مما لا يفهمه إلا المستنيرون بنور الوحي.

وثالثها: أنّ الفشل الظاهري في تحقيق بعض مقاصد الجهاد ليس ضربة لازب ، أو قدراً لا يتزحزح بل فضل الله واسع ، ووعده حق ، وهو ناصرٌ دينه ، ومعلٍ كلمته ، طال الزمن أو قصر ، لا نشك في ذلك طرفة عين ، وإنَّ المجاهدين المطاردين اليوم لهم أحق الناس وأولاهم أن ينعموا بذلك اليوم ونصره ، ويفرحوا بفضله ، إن ثبتهم الله على هذا الطريق وأحياهم إلى حين ، وأما هؤلاء المتربصون الشامتون فهم أولى بالندامة في الدنيا والآخرة نسأل الله العفو والعافية.

---

2 - (النساء : 141)

"ائذن لي ولا تفتنّي"

منافق من المنافقين يتظاهر بطلب الأسلم له في دينه فيستأذن من النبي صلى الله عليه وسلم في ترك جهاد الروم يوم غزوة تبوك لأنه يخشى أن يرى نساء بني الأصفر فيفتتن بهنّ !!

وهنا يأتي الحكم الفصل من رب العالمين { أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ }[1] ، قال ابن تيمية رحمه الله: (ولما كان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله من الابتلاء والمحن ما يعرض به المرء للفتنة: صار في الناس من يتعلل لترك ما وجب عليه من ذلك بأنه يطلب السلامة من الفتنة كما قال عن المنافقين: { وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ }[2] الآية ... يقول نفس إعراضه عن الجهاد الواجب ونكوله عنه وضعف إيمانه ومرض قلبه الذي زين له ترك الجهاد : فتنة عظيمة قد سقط فيها فكيف يطلب التخلص من فتنة صغيرة لم تصبه بوقوعه في فتنة عظيمة قد أصابته ؟ والله يقول: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ }[3] فمن ترك القتال الذي أمر الله به لئلا تكون فتنة: فهو في الفتنة ساقط بما وقع فيه من ريب قلبه ومرض فؤاده وتركه ما أمر الله به من الجهاد)[4] .

فيا أيّها المسلم احذر! احذر فهذه خصلة من خصال النفاق ، فانج بنفسك ووالله إن النجاة لقريبة ورحمة الله قريب من المحسنين فجاهد نفسك ولا تستسلم لها وادفعها إلى الجهاد في سبيل الله دفعاً عسى أن تكون من المفلحين.

شبهة الفتنة ترد كثيراً حينما يأتي ذكر الجهاد ، فتارةً يزعم المبطلون أنّ القتال فتنة ، وربما خصّص بعضهم الحديث فقال: إنّ القتال في بلاد المسلمين فتنة ، وتارةً يجلب الشيطان على العبد فيخوّفه من سلوك طريق الجهاد خوفاً من الفتنة وعدم القدرة على تحمّل أعباء الجهاد ومشقاته وحذراً من الانتكاسة أو خوفاً من الأسر أو الجراح ونحو ذلك من عوارض الطريق ، وهذه الشبهة – كحال كثير من الشبه في باب الجهاد – مردّها إلى ظروفٍ نفسية ، وصراعات معنوية بين الإنسان ونفسه تقنعه بترّهات ، وتعلّقه بأوهام ، وإلا فإنّ الإنسان حين يعود إلى رشده يستغرب كيف تعلّق بالقشة ، واستمسك بالشبهة ، وترك الحقيقة الناصعة ، والحق الواضح.

ومن تلك الشبه شبهة الفتنة في الجهاد حيث لا يفهم أولئك من معاني الفتنة إلا أنها الدماء والقتال والخوف والحروب فأينما وجدت هذه المفردات فثمّ الفتنة ، فما هي صورة الجهاد في أذهانهم إذن ؟ هل يتصورون قتالاً في سبيل الله بلا دماء ، أو أشلاء ، أو تطاير الرؤوس ، وتناثر الأعضاء ؟

أيّ جهاد يؤمّله ذلك الرجل المتردد الذي يخشى الأسر أو التعذيب أو الجرح أو الموت ؟

مثل هؤلاء ينتظرون السراب أو بالأصح لا ينتظرون شيئاً أبداً !!

لا بد لك أيها المسلم أن تصارح نفسك وتعيش صورةً واقعية بعيدة عن خيال التنظير ، الجهادُ ساحةُ معركةٍ فيها الدماء ، والأشلاء ، والخوف الذي يزلزل القلوب..فيها قطع الرؤوس ، وبتر الأيدي والأرجل ، وكسر العظام.. فيها من ينكص على عقبيه ، وفيها من يجزع فيقتل نفسه..

كل ذلك لا يُتصور جهادٌ بدونه ، ولأجل تلك المشاق العظيمة كان أجر الجهاد عظيماً جداً..والمجاهدون ليسوا معصومين ففيهم الصالحون ومنهم دون ذلك بل ربما كان أميرهم من الفجار ولم يكن ذلك مانعا من

---

[1] - (التوبة : من الآية 49)
[2] - (التوبة : من الآية 49)
[3] - (الأنفال : من الآية 39)
[4] - الفتاوى 28/165- 167

الجهاد بل عدّ ذلك أهل السنة من أصول منهجهم وذكروه في عقائدهم وأن الجهاد ماض إلى يوم القيامة مع البر والفاجر من الأمراء المسلمين[1].
ليس في ذكر هذه الحقائق تشويةٌ لصورة الجهاد ، ولا زيادة للرعب ولا للإرجاف ، بقدر ما هو تنبيهٌ لأولئك الخياليين الذين يعيشون أحلام اليقظة ويتصورون الجهاد نزهة جميلة ، لا بلاء فيها ولا عناء ، فإذا جاء الجدّ قالوا: ربنا لم كتبت علينا القتال ؟! تنبيهٌ يصدع في وجوههم: لا تخادعوا أنفسكم ، اعلموا أن الجهاد في سبيل الله الذي جاءت في فضله آيات القرآن وأحاديث السنة ، والذي يحب الله أهله ويرفعهم درجاتٍ ليس إلا بهذه الصورة الواقعية الحقيقية ، وما شرعه الله إلا لفوائده العظيمة وعواقبه الحميدة.
إنّ الذين يستشنعون هذه الصورة للجهاد ، ويظهرون أنفسهم بمظهر أصحاب القلوب الرحيمة ، والمشاعر الرقيقة يكذبون على أنفسهم وعلى الناس وإلا فإن شناعة الكفر والإلحاد الذي يعايشونه ولا يستنكرونه ، وشناعة الرحمة بالذين يبغضون الله ويحادونه ويكفرون بدينه ، وشناعة الرأفة بالمجرمين: كل ذلك أكبر دليل على كذبهم وزيف مشاعرهم !!
لو أيقن هؤلاء أنّ الفتنة هي الكفر والشرك كما صح عن صحابة رسول الله ρ لتغيّرت نظرتهم نحو الجهاد ..ولو أيقنوا أن هذه الفتنة أكبر وأشد من القتل كما أخبر الله جل وعلا لما ترددّوا عن النفير ، ولا تأخروا عن النصرة ، ولخافوا من عذاب النار (وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ) [2].. لو تذكّر هؤلاء فتنة القبر وأسئلته التي لا بدّ منها لعرفوا أي الفتنتين أولى بالتباعد والحذر والنجاة منها ..
إنّ هؤلاء في الحقيقة يحاولون درء الفتنة المتوهمة بارتكاب الفتنة التي هي أعظم وأشنع ، يسوّل لهم الشيطان ترك الجهاد خشية الفتنة التي لم تقع ليوقعهم في فتنة ترك الجهاد والرضوخ لحكم المرتدين والكافرين ، وتسلط اليهود والنصارى والوثنيين.. يخافون عذاب الدنيا وعذاب الآخرة أشد وأبقى.. يتحاشون الفتنة بالقعود عن الجهاد وما علموا أن أهل الجهاد أبعد الناس عن الفتن وأقربهم إلى السلامة منها وأسعدهم بالهداية (ولهذا كان الجهاد موجبًا للهداية التي هي محيطة بأبواب العلم ، كما دل عليه قوله تعالى: { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا }[3] فجعل لمن جاهد فيه هداية جميع سبله تعالى ؛ ولهذا قال الإمامان عبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهما : (إذا اختلف الناس في شيء فانظروا ماذا عليه أهل الثغر) فإن الحق معهم ؛ لأن الله يقول : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا }[4]) [5].

1- قال الطحاوي رحمه الله : (والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين برهم وفاجرهم إلى قيام الساعة ، لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما).
2 - (التوبة : من الآية 81)
3 - (العنكبوت : 69)
4 - (العنكبوت : 69)
5 - ابن تيمية / مجموع الفتاوى 442/28

لا جهـاد إلا بـإمـام..!!

ليس للمسلمين اليوم خليفة يحكمهم ، ولا أميرٌ مسلمٌ يسوسهم ، فالحكام المرتدون من العرب والعجم قد تسلّطوا على المسلمين في بلادهم كلّها ، والله المستعان.

إلا أنّ قوماً مخذولين يحاولون أن يلبّسوا على الناس دينهم ، فكلّما سعى ساعٍ من المسلمين إلى أرضٍ يجاهد فيها أعداء الله قالوا له: لا بد من إذن الإمام !! فأضلّوا كثيراً وضلّوا عن سواء السبيل..

ومنهم من يتفنّن في الافتراء على الله فيزعم أنّ من خرج للجهاد اليوم بغير إذن إمامه (الطاغوت طبعاً) فقتل فإنه يموت عاصياً غيرَ شهيدٍ!

وهذا من أبطل الأباطيل ، فإن هؤلاء الحكّام الذين يشترط الجهلة إذنهم أعداءٌ لله ورسوله صلى الله عليه وسلم وجهادهم من أوجب الواجبات بعد توحيد الله تعالى ، فكيف يستأذنون في جهادنا لهم ؟! ، أم كيف يستأذنون في جهاد أسيادهم من الكفار اليهود أو النصارى ؟!

فمن وجب عليه الجهاد من المسلمين اليوم لم يجب عليه استئذان الطاغوت الذي يسمّى في بلده بالإمام زوراً وبهتاناً.

وما ذكره السلف والفقهاء رحمهم الله من وجوب استئذان الإمام في الجهاد فمعاذ الله أن يكون في حق هؤلاء الطواغيت وأمثالهم ، وإنما هو في حق الإمام المسلم الذي لزمت طاعته ، ووجبت بيعته ، فالأصل حينئذٍ وجوب استئذانه في الجهاد لما في ذلك من الإعانة على تحقيق مقاصد الإمامة التي أرادها الشرع ، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ } [1] وهذا عامٌ في كلّ أمر ، قال صلى الله عليه وسلم: " لَا يَحِلُّ لِثَلَاثَةٍ يَكُونُونَ بِفَلَاةٍ مِنْ الْأَرْضِ إلَّا أَمَّرُوا عَلَيْهِمْ أَحَدَهُمْ "[2] قال ابن تيمية رحمه الله تعليقاً على هذا الحديث: (أَوْجَبَ صلى الله عليه وسلم تَأْمِيرَ الْوَاحِدِ فِي الِاجْتِمَاعِ الْقَلِيلِ الْعَارِضِ فِي السَّفَرِ تَنْبِيهًا بِذَلِكَ عَلَى سَائِرِ أَنْوَاعِ الِاجْتِمَاعِ ، وَلِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْجَبَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ إلَّا بِقُوَّةِ وَإِمَارَةٍ ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ مَا أَوْجَبَهُ مِنْ الْجِهَادِ وَالْعَدْلِ وَإِقَامَةِ الْحَجِّ وَالْجُمَعِ وَالْأَعْيَادِ وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ وَإِقَامَةِ الْحُدُودِ لَا تَتِمُّ إلَّا بِالْقُوَّةِ وَالْإِمَارَةِ)[3] وأمر الجهاد أولى وأوجب بأن ينصب له أميرٌ تلزم طاعته ، ويستأذن في تفاصيل الجهاد ، قال ابن قدامة رحمه الله : (وأَمْرُ الْجِهَادِ مَوْكُولٌ إلَى الْإِمَامِ وَاجْتِهَادِهِ, وَيَلْزَمُ الرَّعِيَّةَ طَاعَتُهُ فِيمَا يَرَاهُ مِنْ ذَلِكَ) [4]

ومع ذلك فإن إذن الإمام لا يشترط ولا يجب في حالات ، منها:

- إذا تعذّر استئذان الإمام إما لبعد المسافة كما حصل في غزوة مؤتة لما استشهد الأمراء الثلاثة (جعفر وزيد وابن رواحة رضي الله عنهم) إذ تولى الإمارة خالد بن الوليد رضي الله عنه من غير استئذانٍ من النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك إذا خُشِي فوات العدو لم يلزم استئذان الإمام كما حصل من سلمة بن الأكوع حين أغارت غطفان على إبل النبي صلى الله عليه وسلم فقاتلهم سلمة رضي الله عنه لوحده حتى استنقذ الإبل دون إذن من النبي صلى الله عليه وسلم والقصة في صحيح مسلم.
- إذا ترك الإمام المسلمُ الجهادَ خوفاً أو جبناً أو انشغالاً بملذّاته وشهواته ، قال تعالى: { فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ } [5]، قال ابن حزم : (كما يغزى مع الإمام ويغزو المرء أهل الكفر وحده إن قدر)[6].

---

[1] - (النساء : من الآية 59)
2 – رواه أبو داود.
3 - مجموع الفتاوى 391/28
[4] - المغني 9-7423
[1] - (النساء : 84)
[2] - المحلى 5- 929.

ففي مثل هذه الحالات لا يجوز ترك الجهاد الواجب لأجل إذن الإمام ، أمّا إذا عدم الإمام كما هو الحال اليوم حيث لا يوجد إمام مسلم يحكم بلداً من البلاد ، والله المستعان فلا يعطّل الجهاد انتظاراً لوجود الإمام ، ولا يعلّق الجهاد بإذن هؤلاء الحكام الطواغيت بل يقوم كلُ مسلمٍ بما يقدر عليه من الجهاد فإن اجتمع جماعةٌ على هذا الهدف (الجهاد في سبيل الله) وجب عليهم أن يؤمِّروا أميراً تلزمهم طاعته واستئذانه على التفصيل السابق ، قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله رداً على من اشترط الإمام في الجهاد: (بأي كتاب ، أم بأيّة حجة أن الجهاد لا يجب إلاّ مع إمام متّبع ؟! هذا من الفرية على الدين ، والعدول عن سبيل المؤمنين ، والأدلة على إبطال هذا القول أشهر من أن تذكر ، من ذلك عموم الأمر بالجهاد ، والترغيب فيه ، والوعيد في تركه ... العبر والأدلة على بطلان ما ألفّته ، كثير في الكتاب والسنة ، والسير ، والأخبار ، وأقوال أهل العلم بالأدلة والآثار ، لا تكاد تخفى على البليد ، إذا علم بقصة أبي بصير ، لما جاء مهاجراً فطلبت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرده إليهم ، بالشرط الذي كان بينهم في صلح الحديبية ، فانفلت منهم حين قتل المشركين ، اللذين أتيا في طلبه ، فرجع إلى الساحل لمّا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ويل أمه مسعر حرب لو كان معه غيره "[1] فتعرض لعير قريش – إذا أقبلت من الشام – يأخذ ويقتل ، فاستقل بحربهم دون رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم كانوا معه في صلح – القصة بطولها – فهل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطأتم في قتال قريش لأنكم لستم مع إمام ؟ سبحان الله ما أعظم مضرة الجهل على أهله ؟ عياذاً بالله من معارضة الحق بالجهل والباطل ، قال الله تعالى: { شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك } [2]) [3]ا.هـ والحمد لله رب العالمين.

[3]- رواه البخاري .
4- (الشورى : من الآية13)
[4] - الدرر السنية

"وآمنهم من خوف"

الله سبحانه امتنّ على قريشٍ بما منحها من نعمة الأمن في جاهليتها ، حيث كانت تجارتهم آمنةً ، ومكة لا يدانيها بلدٌ من بلاد العرب في الأمن والرزق ، فذكّرهم الله بأنّ مُسْدِي هذه النعمة حقيقٌ بالشكر ، وأعظم الشكر أن يوحّد سبحانه فلا تصرف العبادة لغيره من الأصنام والأوثان والمعبودات : { لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ } وجاء الإسلام فكان للأمن معانٍ أخرى حرم من معرفتها أهل الجاهلية ، وسيحرم من ذوقها والتمتع بها كل من سار على طريقتهم .

فأمن أهل الجنة هو الأمن الحقيقي الدائم الذي لا يخالطه خوف ، فهم { لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ } [1]ما أجمل هذه البشرى ، وما ألذّ هذا الوعد ، وما أبرده على القلوب المشتاقة إلى نعيم الله ، ولكن كيف ينال هذا الأمن ؟ ولمن هو ؟ الجواب في قوله تعالى (... فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ) [2]وقد فسّر النبي ρ الظلم الوارد في هذه الآية بأنه الشرك ، وقال ابن سعدي رحمه الله في تفسير الآية : (قال الله تعالى فاصلا بين الفريقين " الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا " أي : يخلطوا " إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ " الأمن من المخاوف , والعذاب والشقاء , والهداية إلى الصراط المستقيم فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقاً لا بشرك ولا بمعاصي , حصل لهم الأمن التام , والهداية التامة ، وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده, ولكنهم يعملون السيئات , حصل لهم أصل الهداية , وأصل الأمن , وإن لم يحصل لهم كمالها).

فكلّما تمسّك المسلم بأمر هذا الدين حصل له بحسب ذلك من الأمن الحسّي في الدنيا والأمن المعنوي الذي هو الهداية ما يمن الله به عليه ليحصل له الأمن التام يوم القيامة ، ورأس أمر الدين هو التوحيد وذروة سنامه هو الجهاد فمن كان من أهل الرأس والذروة (التوحيد والجهاد) ، واهتم بهما وقدّمهما على غيرهما فهو أولى الناس بالأمن ، وإن كان لابد أن يمرّ به شيءُ من الخوف(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ) [3] إلا أنه خوف مشوب بأمنة (ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا)[4] وهو عرض زائل ، وتعقبه لذّة ونعيم ، ومعه يذهب الله الهم والغم كما صح عن النبي ρ في وصفه للجهاد بأنه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم والغم [5]، بخلاف الأمن الحسي الذي يسعى له المبطلون من دعاة السوء ، الأمن الخالي من الهداية ، الأمن من الفقر أو الجوع أو القتل فهو ليس بأمن في الحقيقة إذ لم يصاحبه هداية ، بل صاحبه قلق رغم توفّر المتاع ، وكثرة النعم ، وزوال موجبات الخوف ، فحالهم كحال الذين قال الله فيهم :(وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)[6].

مساكين هؤلاء الذين ينظرون بمنظار أهل الدنيا ، مهما ظنّوا أنفسهم من أهل الخير والصلاح ، يرون الأمن أكلاً وشرباً وراحةً ونعيماً ولو على حساب الدين ، ومن هنا تنشأ عندهم التعارضات ، وتتجاذبهم المتضادات ، فإذا خيّروا بين النعمة والنعيم ، والظل الظليل ، في ظل حكم الحكومات المرتدة الحاكمة

[1] - (البقرة : من الآية 38)
[2] - (الأنعام : 81-82)
[3] - (البقرة : من الآية 155)
[4]- (آل عمران : من الآية 154)
[5] – رواه أحمد والحاكم
[1] - (آل عمران :154)

بالقوانين الوضعية ، الموالية لليهود والنصارى ، وبين ذلك الشيء القليل من الخوف والجوع والنقص في الأموال والأنفس والثمرات الذي هو من لازم طريق المرسلين ، وسمة الغرباء الموحدين المجاهدين لم يجدوا في أنفسهم حرجاً من إيثار العاجلة ، والزهد في الباقية ، وشمّروا عن ساعد الجدّ ليقولوا لأعداء الدين من الطغاة الماردين " نحن معكم ، وكلّنا نسعى لمصلحة الوطن " ولا ينسون بعد ذلك أن يروجوا باطلهم بأن حرصهم على الأمن ليس تثاقلاً إلى الأرض ، ولا إخلاداً إلى الشهوات بل حرصاً على مصلحة الدعوة!! كم ظلمت هذه الدعوة وشوهت ، وكم علقت عليها انتكاسات ، وروّجت باسمها سوءات .

طريق الدعوة والجهاد طريقٌ شائكٌ فالجنّة حفت بالمكاره ، ودربٌ فيه خوفٌ لكنه آمن فـ(الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ)[1] .

أمّا الذين يسعون لأمن بطونهم وشهواتهم ومناصبهم ودنياهم فهم واهمون يخادعون الناس ويخدعون أنفسهم ، فوالله مهما بلغت أرصدتهم ، وكثر مأكلهم ومشربهم ، ولان فراشهم ، وحسنت في أعين البسطاء زينتهم إنهم محرومون من الأمن بقدر ما حرموا من الهداية ، إنهم يعيشون هماً وغمّا لا يدرون كيف يأتي ، ولا كيف يذهب .. يتجرّعون غصص الذلّ والمهانة ، يحسبون كل صيحة عليهم ، يخافون من كل طارق ، ويفرقون لكل حادث ، ترعبهم سطوة الطاغوت ، ويرهبهم خيال سوط جلاّده ولمّا يذوقوه فمن الخوف فرّوا بترك الجهاد فلم يكن لهم منه مهرب ، وقديماً قيل : من مأمنه يؤتى الحذر ، أمّا الموحدون المجاهدون فلا تسل عن سعادة قلوبهم ، ونعيم أرواحهم ، آمنون في الدنيا وفي الآخرة ، لسان حالهم :

أي يومي من الموت أفر	يوم لا يقدر أم يوم قدر
يوم لا يقدر لا أرهبه	ومن المقدور لا ينجو الحذر

المجاهد لشجاعته يقتل في سبيل الله ولا يموت ، والقاعد الجبان يموت ألف مرة ومرة ..
والشعب المجاهد لا يطول عناءه ، ولا يتمّ خوفه ، يتعب أول الطريق ثم يرتاح آخره ..
والشعب الخانع لا ينجو من تسلّط عدوّه عليه ، ولا ينقطع بؤسه ، ولا يتناءى عنه شقاؤه..
فـ{ أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ }[2].

---
[2]- (الأنعام :81-82)
[3]- (الأنعام :81-82)

الـفـهـرس